

البَابُ الثَّانِي

الأدوات المباشرة للترجمة في عصر محمد علي

الفصل الأول : مدرسة الألسن وقلم الترجمة

الفصل الثاني : المؤلفون والكتب

الفصل الثالث : المترجمون

١ - السوريون

٢ - خريجو المدارس والبعثات

٣ - خريجو الألسن

٤ - الموظفون

الفصل الرابع : المحررون والمصححون

الفصل الخامس : القواميس والمعاجم

الفصل السادس : الطبع والنشر

الفصل الأول

مدرسة اللسن وقلم الترجمة

الخطوات التمهيدية : مدرسة الإدارة الملكية ، مدرسة التاريخ والجغرافيا ، مدرسة اللسن، سبب إنشائها ، تلاميذها ، مدة الدراسة ، برنامجها ، المناسبات التي كانت تدرس بها ، مدرسو المدرسة ، مديريها ، مدرسو اللتين العربية والفرنسية ، أقسام المدرسة وأنوعها ؟ قلم الترجمة ، أقسامه ؛ إنشاء المدرسة في أوائل عهد عباس ، قلم الترجمة في عهد إبراهيم، تشتت رجاله بعد إنشاء المدرسة .

(١) مدرسة اللسن — الخطوات التمهيدية :

مدرسة الادارة الملكية : كان محمد علي في حاجة إلى عدد كبير من الموظفين المثقفين ثقافة جديدة لمساعدته في إدارة ما أنشأت حكومته من (دواوين) ومصالح وأقلام . ولذلك بادر فحاول المحاولات الأولى فأنشأ في جمادى الأولى سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) مدرسة الإدارة الملكية ، واختير لها ثلاثون تلميذاً من تلاميذ الدرسة الملكية وعين للتدريس بها أرتين شكرى أفندى ، واسطفان رسمى أفندى عضوا البعثة إلى فرنسا اللذان تخصصا في دراسة الإدارة الملكية .

وكان على هؤلاء التلاميذ أن يدرسوا في الدرسة الملكية من الصباح إلى الظهر ثم يتوفرون — من الظهر إلى ما قبل غروب الشمس — على دراسة المواد الإعدادية لدراسة الأمور الملكية، وأهمها اللغة الفرنسية ، والمحاسبة ، ومبادئ الهندسة ، والجغرافية .

وكان على هذين المدرسين — إلى جانب قيامهما بالتدريس — أن يبذلا جهوداً أخرى في الترجمة في هذا الفن — فن الإدارة الملكية — فنصت لائحة المدرسة على :

١ — أن يعبد إليهما في الصباح بترجمة ما يحال إليهما ترجمته .

٢ — أن يقوموا بترجمة دروس في الإدارة المدنية وإعدادها .

كذلك نصت اللائحة على أن تدرس مادة الترجمة دراسة عملية لتلاميذ المدرسة، فإنه ولما كان من أغراض المدرسة تخرج مترجمين وموظفين لفروع الإدارة المصرية فقد أشارت اللائحة بأن يقدم التلاميذ — بعد تقدمهم في اللغة الفرنسية — كتب في التاريخ سهلة ، وترجم لهم درساً درساً ، حتى إذا تمت ترجمة الكتاب وإصلاحه قامت المطبعة على طبعه ، وأنه لأجل حصول اتئلاف للتلاميذ بالمصالح المصرية، تقدم للمدرسة نسختان من الوقائع المصرية ، وترجم لتلاميذها المواد ، المشتملة على عمارة الملك بمرئالات أوروبا،^(١)

غير أن هذه المدرسة لم تعمر طويلا فقد ألغيت بعد قليل ، ونقل تلاميذها إلى مدرسة الألسن في آخر سنة ١٢٥١ (١٨٣٦) .

مدرسة التاريخ والجغرافيا : أنشئت في حدود سنة ١٢٥٠ وألحقت بمدرسة المدفعية وكان ناظرها الوحيد هو رفاة رافع الطهطاري ، وكان القصد من إنشائها تخريج مدرسين للجغرافيا في المدارس الحربية المختلفة ، وقد ألغيت هذه المدرسة عند إنشاء مدرسة الألسن ، وقد فصلنا الكلام عليها عند كلامنا عن رفاة في فصل المترجمين .

وبهذا كانت هاتان المدرستان الخطويتن التمهيدتين لإنشاء مدرسة الألسن .

مدرسة الألسن : أنشئت في أوائل سنة ١٢٥١ (١٨٣٥) بإسم مدرسة الترجمة ثم غير اسمها فأصبح « مدرسة الألسن » ، وجعل مقرها السراي المعروفة ببית الدفتردار بحي الأزيكية حيث فندق شيردالآن^(١) وقد أنشئت هذه المدرسة تحقيقاً لاقتراح تقدم به رفاة لمحمد علي باشا ، يقول علي مبارك : « ثم عرض (أي رفاة) للجناب العالي أن في إمكانه أن يؤسس مدرسة ألسن يمكن أن ينتفع بها الوطن ، ويستغنى عن الدخيل فأجاب به إلى ذلك ، ووجه به إلى مكاتب الأقاليم لينتخب منها من التلامذة ما يتم به المشروع فأسس المدرسة »^(٢) .

وكان تلاميذ المدرسة في أول عهدها ثمانين تلميذا ، اختار رفاة معظمهم من مكاتب الأقاليم ، وضم إليهم تلاميذ مدرسة الادارة الملكية بعد إلغائها ، ولكن هذا العدد زاد بعد ذلك حتى أصبح مائة وخمسين ، وكانوا ينقسمون إلى قسمين ، ويرأس كل قسم أستاذ يساعد بعض التلاميذ المتقدمين^(٣) . وكانت مدة الدراسة بالمدرسة ٥ سنوات قد تزداد إلى ست ، كما أنه كان « لشورى المدرسة الداخلي — أى مجلس إدارتها — الحق في تعديل منهاج الدراسة بها ، وكان هذا المنهاج ينص على أن تدرس بها اللغات العربية والتركية والفرنسية^(٤) ، والحساب ، والجغرافيا ، ثم أضيفت بعد ذلك دراسة التاريخ ، وأرسلت المدرسة « إلى أوروبا لشراء كتب فرنسية في الأدب والقصص والتاريخ »^(٥) .

وفي سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩) اكتملت المدرسة ، وأصبح بها ٥ فرق ، وخرجت أول فريق من تلامذتها ، وكان تلاميذ الفرقة الأولى (أى الأخيرة) « يترجمون كتباً في التاريخ والأدب ، ويقوم على

(١) و (٢) المخطط التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٥٤ .

(٣) Bowring, Op. Cit. p. 134

(٤) ذكر عبد الله أبو السعود أحد خريجي المدرسة في كتابه « منة أهل العصر بمقتضى تاريخ عصره » ص ٨٠ أن اللغة القارسية كانت تدرس أيضا بمدرسة الألسن .

(٥) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٢٢ — ٣٢٣ .

إصلاحها أستاذهم ومدير مدرستهم « رفاة رافع » ثم تقدم إلى المطبعة فتطبع وتنتشر كتباً يقرأها المدرسون والتلاميذ^(١) .

غير أن العناية بتدريس اللغات في مدرسة الألسن لم تكن في درجة واحدة فقد كانت العناية كبيرة بتدريس اللغتين العربية والفرنسية ، وذلك لأسباب واضحة منها أن كل التلاميذ كانوا من المصريين الذين يعرفون العربية ولا يعرفون التركية ، ومنها أن ناظر المدرسة وأستاذها رفاة كان يتقن هاتين اللغتين . ومع هذا فقد « درست اللغة الانجليزية وقتاً ما بمدرسة الألسن ، وقام على تدريسها مدرس انجليزي ، وقرأ التلاميذ قصصاً وكتباً في قواعد اللغة الانجليزية^(٢) » ، وقد ذكر صالح مجدى فى كتابه « حلية الزمن ، عند كلامه عن تلاميذ رفاة أن من بين من نبغ فى اللغة الانجليزية من خريجي الألسن « محمد أفندى سليمان مدرس اللغة الانجليزية بالمدارس الحربية وأول من برع فى الترجمة من الانجليزية » .

أما اللغة التركية فكانت العناية بها ضعيفة للأسباب السابقة ، ولأنه « كان من الصعوبة بمكان أن نجد الحكومة مترجماً يحذق اللغات العربية والتركية والفرنسية جميعاً^(٣) » .

مدرسو المدرسة : ذكر فى لائحة المدرسة أن هيئة التدريس بها تتكون من :

١ — مديرها .

٢ — مراقبين للدراسة .

٣ — أستاذين للغة العربية من الدرجة الأولى .

٤ — أستاذ للغة التركية من الدرجة الأولى .

٥ — ثلاثة أساتذة لتدريس اللغة الفرنسية والرياضة والتاريخ والجغرافيا^(٤) .

أما مدير المدرسة فهو زعيم النهضة العلمية فى عصر محمد على ، العالم الكبير رفاة رافع الطمطاوى ، وسنترجم له ترجمة واسعة فى الفصل الخاص بالترجمين ، ويكفى أن نعرف هنا :

١ — أنه كان يشرف على المدرسة من الناحيتين الفنية والإدارية^(٥) .

٢ — كان يدرس للتلاميذ الأدب والشرائع الإسلامية والغربية .

(١) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ٢٣٢ — ٢٣٣ .

(٢) و (٣) المرجع السابق ص ٣٣٣ (من وثائق عابدين) .

(٤) Bowring, Op. Cit. p. 134. (٤)

(٥) كان الشبح فى عصر محمد على أن يكون شكل مدرسة خصوصية « مدير يشرف على الشؤون الفنية كتوزيع التلاميذ على الفرق الدراسية ، وتوزيع المواد الدراسية ، ورياسة المدرسين ؛ وناظر يشرف على الشؤون الإدارية كالضبط ورياسة عمال المدرسة من كتبة وخدم وغيرهم ، وكان ناظر الألسن يدهى حسن كاشف ثم عزل بناء على طلب رفاة بك ، عزت عبد الكريم ، السابق ، ص ٣٢٤ ، هامش ١ .

٣ — كان يختار الكتب التي يرى ضرورة ترجمتها ويوزعها على المترجمين من تلاميذ المدرسة وخريجها المتحقيقين بقلم الترجمة ، ويشرف على توجيههم أثناء قيامهم بالترجمة ، ويقوم بمراجعة الكتب وتهذيبها بعد ترجمتها ؛ يقول حسن قاسم أحد خريجي مدرسة الألسن في مقدمة كتاب « تاريخ ملوك فرنسا » : « ولما تم هذا التعريب لحظه بنظر التصحيح والتهذيب حضرة رفاة بك ناظر مدرسة الألسن وقلم الترجمة ، فشيّد مبنى الفاظه وأحكامه . »

٤ — وكان رفاة يرأس كل عام لجنة امتحان تلاميذ مكاتب المبتديان بالأقاليم ، فيسافر إليها في النبل ، ويمتنح تلاميذها ، ويصطحب المتفوقين منهم ليلحقهم بالمدرسة التجهيزية الملحققة بمدرسه الألسن . وكان إخلاص رفاة لمهته يدفعه إلى عدم التقيد بأوقات محددة للدراسة فكان يستمر في الدرس ثلاث أو أربع ساعات ما دام يجد في نفسه رغبة وفي تلاميذه قبولاً ، يقول علي مبارك باشا : « كان دأبه في مدرسة الألسن وفيما اختاره للتلاميذ من الكتب التي أراد ترجمتها منهم ، وفي تأليفاته وتراجمه خصوصاً أنه لا يقف في ذلك في اليوم أو الليلة على وقت محدود ، فكان ربما عقد الدرس للتلامذة بعد العشاء ، أو عند ثلث الليل الأخير ، ومكث نحو ثلاث أو أربع ساعات على قدميه في درس اللغة ، أو فنون الإدارة ، أو الشرائع الإسلامية ، والقوانين الأجنبية ، وله في الأولى مجاميع لم تطبع ، وكذلك كان دأبه معهم في تدريس كتب فنون الأدب العالية ، بحيث أمسى جميعهم في الإنشاءات نظماً ونثراً أطروفة مصرم ، وتحفة عصرم ، ومع ذلك كان هو يشخصه لا يفتر عن الاشتغال بالترجمة والتأليف ، وكانت مجاميع الامتحانات لا تزهر إلا به » (١) .

وقد أرمقت هذه الأعمال الكثيرة رفاة فعين له ديوان المدارس مدرساً فرنسياً ليقوم بمساعدته في إدارة المدرسة والتفتيش على الدروس وأمانة المكتبة (٢) .

أما مدرسو اللغة العربية فكانوا نخبه من مشايخ الأزهر المهتازين في معرفتهم وحبهم القراءة والبحث والتحقيق ، ذكر منهم علي مبارك (٣) :

- ١ — الشيخ الدهنورى .
- ٢ — الشيخ علي الفرغلي الأنصارى (ابن خال رفاة) .
- ٣ — الشيخ حسنين حريز الغمراوى .
- ٤ — الشيخ محمد قطة العدوى .
- ٥ — الشيخ أحمد عبد الرحيم الطمطاوى .
- ٦ — الشيخ عبد المنعم الجرجاوى .
- ٧ — حسن أفندى (باشخوجة المدرسة) .

(١) و (٢) المخطوط التوفيلية ، ج ١٣ ، ص ٥٤ .
(٢) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٣٤ هامش ٣ .

أما مدرسو اللغة الفرنسية فهم :

١ - مسيو د كورت ، وقد خلفه بعد وفاته ، اسكندر دوده .

٢ - مسيو د بتيير .

٣ - مسيو د ديرون ، وهو الذى اختير لمساعدة رفاعه ولأمانة المكتبة .

وقد حقق خريجو مدرسة الألسن غرض من إنشاء المدرسة ، فعين المتقدمون من أول فريق تخرج في سنة ١٨٣٩ مدرسين للغتين العربية والفرنسية في نفس المدرسة ، وفي مدرسة « المهندسخانة » .

ولما أنشئ قلم الترجمة في أوائل سنة ١٢٥٨ (١٨٤١) ألحق به كل خريجى المدرسة غير أن الواحد منهم لم يكن يمنح الرتبة حتى يترجم كتاباً ، يجوز الرضا السامى ،^(١) وقد ألحق كثيرون منهم مدرسين بالمدارس الأخرى أو موظفين بالمصالح المختلفة .

نمو المدرسة واتساعها : وظهر للبائشاه بالمدرسة من فوائد جليلة ، وأدرك ما بلغته من نجاح فظل يعمل على تنميتها :

١ - ففي سنة ١٨٤١ ألحقت بها المدرسة التجريبية التى كانت قبلاً في أبي زعيل .

٢ - وفي سنة ١٢٦٠ (١٨٤٥) أنشئ بالمدرسة قسم لدراسة « الإدارة الملكية العمومية ، لتخريج الموظفين الإداريين ، للعمل في المديرات والمصالح والضابط خانة ،^(٢) .

٣ - وفي نحو سنة ١٢٦٢ أنشئ بها قسم ثان لدراسة « الإدارة الزراعية الخصوصية » .

٤ - وفي أواخر سنة ١٢٦٣ أنشئ بها قسم ثان لدراسة العلوم الفقهية ، وكان عدد تلامذته أربعين تلميذاً ، ويتلقون دروساً في اللغة على المذهب الحنفى ، حتى إذا أمموا دراستهم عينوا قضاء بالأقاليم ، حيث أن أكثر القضاة ليسوا علماء ،^(٣) .

وقد أدى هذا النمو إلى ازدهام المدرسة بالطلاب حتى كان التلاميذ من فرق مختلفة يجلسون في حجرة واحدة لتلقى علوم متباينة على أساتذة متباينين ، فعمل رفاعه على تنظيم بناء المدرسة ، حتى صار لكل درس محل مخصوص بباب مخصوص ،^(٤) .

قلم الترجمة

أنشئت هذه الفروع جميعاً لتخريج الموظفين الإداريين والقضاة غير أن طلبتها تعلموا اللغات الأجنبية ، وتلقوا علوماً جديدة حديثة إلى جانب العلوم العربية القديمة ، وشاركوا - إلى حد ما - في حركة الترجمة ، ولكن يهمنى أن نعرف شيئاً عن فرع المدرسة الذى يتصل اتصالاً وثيقاً بموضوعنا ، وهو قلم الترجمة .

(١) و (٢) و (٣) و (٤) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٣٦ و ٢٣٧ .

أنشئ في أوائل سنة ١٢٥٨ (١٨٤١) تنفيذاً لإشارة لجنة تنظيم التعليم (١٨٤١) ، فقد رأت اللجنة أنه ولما كانت الكتب الجارية ترجمتها معدودة آثاراً خيرية من مآثر سمو مولانا الخديو الأعظم الذي تخلصه اسم الكريم إلى أبد الآبدين ، فلا شك في أن الواجب يقضى بأن تكون التراجم مضبوطة مستوفية حقها من الصحة سليمة من الخطأ ، فلهذا ، ولكون ترجمة كتب العلوم والفنون ليست مقصورة على معرفة اللغة فحسب ، بل متوقفة أيضاً على الإلمام بالعلم أو الفن المترجم كتابه ، فقد أنشأت اللجنة غرفة الترجمة الخاصة بالترجمين ^(١) .

وقسمت هذه الغرفة إلى أربعة أقلام :

- ١ - قلم ترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم والرياضة ، ورئيسه «البكباشي محمد بيومي افندي» ، وتحت رئاسته ملازم ، متخرج من مدرسة الآلسن ، وخمسة من تلاميذ فرقها الأولى .
- ٢ - قلم ترجمه كتب العلوم الطبية والطبيعية ، ويشرف عليه «الوزباشي مصطفى واطي افندي» ، أحد مدرسي مدرسة الطب البشري ، وتحت رئاسته ملازم من مدرسة الآلسن وثلاثة من تلاميذها .
- ٣ - قلم ترجمة المواد الاجتماعية أو الأدبيات ، كالتاريخ والجغرافيا والمنطق والأدب والقصص والفوائين والفلسفة الخ ، ورئيسه الملازم أول خليفة محمود افندي أحد مدرسي مدرسة الآلسن وخريجها ، وألحق به ملازم ثان وثلاثة من تلاميذ المدرسة .
- ٤ - قلم الترجمة التركية ، ويشرف عليه «ميناس افندي» ، المترجم بديوان المدارس . وتحت إمرته أربعة من تلاميذ المدرسة .

ثم ألحق بهذه الأقسام عدد من المبيضين لتبيض الكتب بعد ترجمتها ، وإرسالها إلى ديوان المدارس للاطلاع عليها ، فكان يشير بطبع النافع القيم منها .

مدير هذه المؤسسة :

تأسست مدرسة الآلسن نحو الخامسة عشر عاماً بدأت فيها تسيطر على شئون الثقافة العامة في مصر ، وأنتجت في إبانها الإنتاج العلمي الوفير ، فلما ولي العرش عباس الأول - ولم يكن على انسجام مع رجال جده وعمه وخاصة رفاعه - أخذ يسعى سعياً للقضاء على هذه المدرسة ، فبدأ بإلغاء قسم الفقه بالمدرسة ، ثم سعى بتصفية تلاميذ المدرسة وفصل عدد كبير منهم ، وفي الشهر الأخير من عام ١٢٦٥ (أكتوبر ١٨٤٩) صدر الأمر بنقل مدرسة الآلسن إلى مكان مدرسة المبتديان بالناصرة ، وبذلك حرمت المدرسة من مكانها وضاق بها مكانها الجديد حتى اضطروا إلى نقل الكتب بخانة الافرنكية والآتيكات إلى

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤٩ عن وثائق هابدين .

المهندسخانة ببولاق ، ولم تمض أيام على ذلك حتى ألغيت مدرسة الآلسن في المحرم سنة ١٢٦٦ (نوفمبر سنة ١٨٤٩) وضم تلامذتها إلى التجويزية قبيل إلغائها^(١) ، وفي أواخر سنة ١٢٦٦ سافر رفاعة إلى الخرطوم ليكون ناظراً ومدرساً لمدرسة الخرطوم الابتدائية .

أما قلم الترجمة فقد خضع لتجربة جديدة في الشهور القليلة التي ولي فيها إبراهيم باشا ، وصدر الأمر بتقسيمه تقسيماً جديداً إلى قلين : قلم للترجمة التركية ويشرف عليه كافي بك ، وقلم للترجمة العربية ويشرف عليه رفاعة بك وجعلت الرئاسة العليا لكافي بك ، فقد نشرت الوقائع المصرية في العدد ١٢٧ الصادر في ٢٦ القعدة سنة ١٢٦٤ : ولما كانت ترجمة الكتب المرغوبة التي تشتمل على القوانين والتراتيب والآداب وسائر العلوم والفنون النافعة من اللغة الفرنسية إلى التركية والعربية ، وطبعها ونشرها وسيلة عظمى لتكثير المعلومات المقتضية ، وقضية مسلمة عند أولى النهى ، وكان حصول ذلك لا يتأتى إلا بوجود المترجمين البارعين في ألسنة الأفرنجى والتركي والعربي ، واجتماعهم في محل واحد ، وقسمهم إلى قلمي ترجمة ، وضمهم إلى نظارة حضرة أمير اللواء كافي بك وكيل ديوان التفتيش الفريد في فن الترجمة ، المشهور بالسلاسة والبلاغة حصل فتح القلبين كما ذكر وقد تعين حضرة رفاعة بك أمير الآلاي الذي كان ناظر مدرسة الآلسن التابعة إلى ديوان المدارس ناظراً على قلم الترجمة العربي في معية حضرة الموصى إليه .

يقول الدكتور عزت عبد الكريم : على أن إلغاء مدرسة الآلسن في نوفمبر سنة ١٨٤٩ لا شك قد أثر أثراً بليغاً في قلم الترجمة ورجاله فقد حرمه الدعامة القوية التي كان يرتكن عليها في عمله الفني وحرم المصدر الذي كان قائماً على تغذيته بالمترجمين كما حرم ناظره رفاعة بك المكانة السامية التي كانت له في دوائر التعليم ، وبعد أشهر رحل رفاعة إلى السودان ، ولم يستطع القلم أن يحيا بعد فقد مؤسسه ومديره فنشئت رجاله^(٢)

(١) و (٢) عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم في عصر عباس وسعيد ، ج ١ ، ص ٥٨ - ٦١ .